تعريب الطب

..رؤية نفسية..

د.حسام صبرى

تقديم ..

كان المفترض فى هذا البحث أن يكون عنوانه :

(تعريب الطب وأثره فى الجامعات العربية ، المحاذير و الحسنات) ..

و أن أقوم بجمع كل ما يتعلق بمحاذير تعريب الطب ، ثم جمع كل ما يتعلق بحسنات تعريب الطب بأسلوب علمى مبسط و أعرضه بين دفتى الكتاب ،،،

لكنى وجدت أن كثيرا من الأفكار تقف على الأعراف .. فلا هى إلى ذلك و لا إلى ذاك ..

كأن نتساءل : هل تناقش الدول المتقدمة تقنيا ، بأى لغة يتعلم أبناؤها الطب ؟!!!

نجد أنهم – بدون نقاش– يتعلمون بلغاتهم القومية فرنسية ، أو ألمانية ، أو يابانية أو روسية ..... إلخ ،

و هكذا ؛ رسمت سياسة مختلفة لهذا البحث .. خصوصا أنى عاينت بنفسى مشاكل الدراسة باللغة الأجنبية ،
فأنا كطبيب عربى خير مثال لمعاناة الأطباء الدارسين بلغة أجنبية ،
و كطبيب نفسى أحاول أن أسبر غور الطائفة المعارضة فى مقابل المؤيدين والمتحمسين للتعريب ،
و كطبيب مسلم أتحيز- دون مبالغة – إلى لغة التنزيل .. لغتنا العربية ،

فبدأت بعرض مواقف شخصية حدثت معى أنا شخصيا تعبر عن حجم المعاناة لدى دارس الطب فى جامعاتنا العربية ،،،،
و تطرقت إلى تعريف كلمة (التعريب) ..
و منها إلى تمييز اللغة العالمية ، و لماذا لا تكون اللغة العربية هى تلكم اللغة ؟
و هل هناك لغة علم عالمية من المنظور النفسى ؟
ثم انتقلت إلى أثر التعريب على مراحل الإبداع لدى الدارس من إحساس ، واستقبال ،

و تخزين جزئى للمعلومات ، ثم مقارنة و تصنيف كلى أو كما نسميها (منظور الطائر) ؛ لنصل إلى مرحلة الإبداع ،

وتحدثت عن مسيرة الطب فى العصر الحديث فى دولة عربية هى (مصر) على سبيل المثال لتمييز أثر المستعمر
و استخلصت منها ما يعرف نفسيا ب(عقدة النقص) أو عاميا (عقدة الخواجة) ،

ثم قادنى هذا إلى الحديث عن حجة المصطلح العلمى و كيف أن الدروس الخصوصية تعرب الطب لذلك يتهافت عليها طلبة الطب ..

عرضت بعدها بإيجاز نفسية المعارض للتعريب و ما هو الدافع لديه ، فى مقابل نفسية المؤيد الذى آمن بفضل التعريب و يسعى لتحقيقه ..

و فى عرض أكثر إسهابا قمت بتعديد نقاط المعارضة أو كما يطلقون عليها (صعوبات و محاذير) و فى نفس الوقت قمت برد هذه الشبهات بالأسلوب العلمى ؛ كى يتضح لنا أن التعريب أمر لا مفر منه ، وأن له من الفوائد العلمية ، واللغوية ، و الحضارية ما يجعله ضرورة حتمية ، فى مواجهة التغريب ..

ثم أوضحت أن القرار السياسى و إن كان مهما إلا أنه ليس الأهم ، فوضعت بناء على مشاهداتى و آراء المتخصصين وواقع الأمة تخيلا لما يجب فعله من خطوات للنهوض بعملية التعريب و ذلك على مستوى الجامعات و المؤسسات و الأفراد والحكومات ،

مبينا التأثير النفسى الذى يتحكم فى مجريات الأمور و انتقلت أخيرا إلى (فكرة) مرحلة الهجوم ؛ لفرض العربية و جعلها لغة العلم العالمية ،

و سمحت لنفسى أن أتخيل واقعا إفتراضيا تسود فيه لغتنا العربية و يتسابق الآخرون لكى ينالوا شرف إجادتها والتعلم بها ..

و اتضح فى النهاية أن الحاجز الأساسى الذى يمنعنا من تعريب الطب ليس حاجز المحاذير و أن الحافز ليس حافز الحسنات ،،

و إنما هو حاجز و حافز نفسى .. لو تم استيعابه وتجاوزه .. سنعرب الطب و جميع العلوم..

و هكذا جاءت تسمية الكتاب ..

تعريب الطب .. رؤية نفسية ..

و الله من وراء القصد ،،

د . حسام صبرى

شرّ البلية :

مرت بنا جميعا – نحن الأطباء – مثل هذه المواقف حال التحاقنا بكلية الطب البشرى و خصوصا فى سنين الدراسة الأولى ، أذكر هنا على سبيل المثال و ليس الحصر بعض هذه الحوادث المضحكة المبكية ؛ فشر البلية ما يضحك ، و التى تعبر دون مبالغة عن مأساة طلبة كلية الطب حين يتعاملون بلغة أجنبية :

موقف (١) : ضحكنا جميعا حين فاجأ أحد زملائى الأستاذ المحاضر و نحن واقفون حول الجثة بسؤاله :
– أين الـ (فيج ٣).. ثم أكد كلامه أن هناك عصبا يحمل هذا الإسم ، و أخرج الكتاب كى يتبين له بعد أن حفظه أن هذه الكلمة إختصار لكلمة (شكل رقم ٣).. بالإنجليزية

موقف (٢) : عجز الطالب المجتهد بالسنة الخامسة لكلية الطب البشرى عن معرفة معنى كلمة

وحين عرضها على الأستاذ الدكتور المتخصص فى مادته ..

نظر إليه شذرا و سأله :

– من أين جئت بها ؟

ولما أخبره عن المرجع الأجنبى الذى يذاكر منه ..

ضحك ملىء فيهِ مجيبا :

– وهل تريدنى أن أفهم جميع الكلمات بذلك المرجع ؟

عموم البلوى :

و لا تقتصر المشكلة على طلبة كلية الطب فقط و إنما جميع طلبة الكليات العملية بعالمنا العربى فقد حدث:

* فى إحدى كليات العلوم أن عرّ ف طالب مصطلح (الماجما) (أو الصهارة) فقال بالإنجليزية :(هى مادة الصخور فى باطن الأرض تشبه " البوردج " فى قوامها ... إلخ) ، وهنا سأله الأستاذ ساخرا : وما معنى " بوردج" ؟

و أنّا لطالب مسكين أن يتذوق البوردج الإنجليزى أو يدير فيه ملعقة ليعرف قوامه ؛ فأجاب فى بساطة : (وما أدرانى ، هى مكتوبة كذلك..) ، وهكذا انقلب التشبيه من وظيفته فى بيان المجهول بالمعروف إلى زيادة فى التجهيل ، ليسلك الجهل طريقا سهلا إلى عقول الطلبة ..

و سوف نعرض لهذه المشكلة متخذين من كليات الطب مثالا ..

معنى التعريب :

لغة : صوغ الكلمة بصيغة عربية .... عرُبَ : فصُح بعد لكنة و اصطلاحا له معانى عديدة

أكثرها شيوعا و الذى نعنيه فى بحثنا هو : تحويل الجامعات و الكليات والمعاهد العليا التى تضم مئات الأقسام العلمية ، من التدريس باللغات الأجنبية إلى التدريس باللغة العربية و اعتماد العربية لغة التدريس الجامعى والبحث العلمى والتقنيات الحديثة .. ومن ثم .. تعريب الفكر واللغة بحيث يسهل على الدارس الفهم و التعبير فالإبداع بلغته العربية

اللغة العالمية

هل هناك لغة نستطيع أن نصفها ب(اللغة العالمية؟)هل يمكن أن نصف مثلا اللغة اللاتينية أنها اللغة الأصلح للتفاهم و الدراسة و التداول ؟

الواقع أنه لا توجد لغة حصلت على هذا اللقب ، لكن هذا لا يمنع أن كل فريق يريد للغته أن تسود مدعيا أن لغته هى الأصلح و الأفضل

.. فلا فضل للغة على أخرى إلا بنشاط أبنائها و استخدامهم لها و حبهم و فخرهم بلغتهم .. الحد الذى يجعلهم يفرضونها على الآخرين ، حتى يصل الأمر أحيانا لبعث اللغة من الرماد مثلما فعل أرباب اللغة العبرية ..

أنا أفخر بلغتى :

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن **** فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتيا ؟!!

قد يعتبر الكثيرون اللغة العربية هى الأفضل و هى أشرف اللغات معللين ذلك بأنها لغة القرآن الكريم ، و سواء اتفقنا

مع هذا الرأى أو لم نتفق .. فإننا لا نستطيع بأى حال من الأحوال أن ننكر أنها استوعبت كلمات الرحمن ؛ مما يرفع مكانتها اللغوية من بناء و تركيب و نحت و اشتقاق ومن قدرتها على اعطاء معانى لما وراء الكلمات ، فهى ثرية قوية لا شك فى ذلك

وَسِعْتُ كِتَابَ اللهِ لَفْظاً وغَايَةً وَمَاضِقْتُ عَنْ آيٍ بهِ وَعِظَاتِ

فكيفَ أَضِيقُ اليومَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍوتنسيقِ أَسْمَاءٍ لمُخْتَرَعَاتِ

اللغة العالمية من المنظور النفسى

ما هى اللغة العالمية ؟

من المنظور النفسى هناك لغات عديدة تحمل هذا اللقب (اللغة العالمية)،،

مثل (لغة المشاعر) .. فأنا أضحك و كذلك الرجل الصينى و الأمريكى و لا نحتاج لمترجم كى نفهم أن هذا الإنفعال هو فرح أو حزن أو خوف ....إلخ

هناك (الفهم الجمعى للأمور) فكلنا نرهب الأسد و نحب طعم المانجو و نكره رائحة الخنازير

و هناك (لغة الأشكال) فاللوحة الفنية لا تحتاج لمترجم ولوحة الكاريكاتير الأفضل هى التى لا تحتاج لشرح أو تعليق و إنما يفهمها كل الناس باختلاف لغاتهم ، و بالطبع (لغة التذوق الفنى) عامة مثل سيمفونية مرعبة لبيتهوفن أو صوت المؤذن الرخيم أو شكل عضلات بطل كمال الأجسام و هناك (لغة الجسد) فكلنا يتأثر بحماس (هتلر) و إشاراته و إيماءاته أثناء خطابه دون أن نفهم ما يقول أو كما يسميها البعض(الكاريزما)

و لا أنس قول أحد الصعاليك لم يتم مراحل تعليمه و لكنه سافر لبلدان العالم المختلفة حين سألته عن اللغات التى يجيدها فأجابنى : ولا لغة واحدة ..؛ مفسرا ذلك بأنه يتحدث أى لغة يريدها فقط بالإشارة و تعبيرات الوجه و نبرة الصوت .. الأمر الذى يمثل – فى رأيه – أكثر من سبعين فى المائة من أية لغة

اللغة و مراحل الإدراك و الفهم

هناك مراحل للإدراك تعتمد على

الإحساس و الإستقبال :

أما الإحساس : فهو ثابت عند جميع البشر عن طريق حواس الجسم المعروفة

و أما الإستقبال : فهو ترجمة هذه الإحساسات و إعطائها معنى بناء على الخبرات السابقة و التعلم و الغرائز التى لا تحتاج لتعلم

فكلنا نسمع بوضوح سيمفونية بتهوفين السابعة لكن واحدا يعتبرها أروع ما أبدعه عقل موسيقى و آخر يفسرها مجرد أصوات مزعجة

التعريب و مرحلة الإبداع :

كيف نصل إلى مرحلة الإبداع ؟

لكى يصل الدارس لأعلى مراحل الإدراك التى تمكنه من الإبداع و خلق نظريات و اكتشافات و اختراعات مبتكرة يجب أن يمر بمرحلتى الإحساس و الإستقبال بنجاح وللنجاح فى مرحلة الإحساس يجب أن تكون حواسه سليمه فالرجل الأصم سيعانى من عدم الفهم لا لأنه لا يجيد ترجمة المعلومات و لكن لأن هذه المعلومات لم تصل لعقله من الأساس و لم يسمع بها من قبل ..

أما مرحلة الإستقبال و ترجمة المعلومات فيجب فيها تركيز الإنتباه لأعلى مستوى كى ينتقى المعلومات و يصنفها عقله و يفهمها مقارنة بالمعلومات القديمة ثم يقوم الدارس بعد ذلك بحفظ المعلومة عن طريق وسائل الحفظ المختلفة كى يسهل عليه استدعائها وقت الحاجة ..

و المشكلة الكبيرة التى تحدث للطالب حال الدراسة باللغة الأجنبية أنه خلال هذه المرحلة يتشتت انتباهه و يتحول من محاولة اعطاء معنى عقلى _ بناء على الخبرات السابقة_

للمعلومة إلى ما يقابل الكلمة باللغة الأم .. أى أنه يترجم الكلمات من اللغة الأجنبية إلى لغته التى يفكر و يعمل بها عقله و إذا نجح فى ذلك يعتبر أنه حصّل علما و قام بإنجاز كبير و الحقيقة أنه لم يصل للمراحل الأعلى فى الفهم من مقارنة و تصنيف ..

صوت صفير البلبل :

بالنسبة للحفظ فهناك قاعدة نفسية شهيرة تعلمنا أن الإنسان يحفظ بسهولة الكلمات المفهومة و يعجز عن حفظ و استرجاع الكلمات المبهمة

و لعل القصة الشهيرة (صوت صفير البلبل) خير مثال على ذلك ..حين تحدى الأصمعى الخليفة أبو جعفر المنصور بقصيدة قوية فعجز عن تكرارها لصعوبة كلماتها و عدم فهمها .

و لهذا يسترجع الطالب بسهولة المعلومات التى فهمها و حفظها بلغته الأصلية و يجد صعوبة كبيرة فى استرجاع المعلومة باللغة الأجنبية التى طبعت على خلايا الذاكرة بعدم وضوح من الأساس ،،

و حتى حين يستدعيها فإن القدرة على التعبير بها تكون ضعيفة أى أن الطالب قد يكون فاهما للمادة العلمية لكن استخدامه للغة أجنبية حال التعبير _ فى امتحانات الشفوى مثلا – يظلمه لأنه يمتلك معلومات كثيرة فى عقله لا تقابلها حصيلة لغوية لهذه اللغة الأجنبية تسعفه و تساعده على التعبير .. فقد يكون فاهما لكنه عجز عن التعبير بسبب غرابة اللغة المستخدمة فقط ..

و كلنا مررنا بهذه التجربة حين كان الممتحن فى اختبارات الشفوى ، يقول لنا ببساطة :

(اجب بالعربى) لأنه يريد قياس الفهم فى اعتراف صريح أنك لو أردت قياس مدى فهم الطالب اسأله بلغته و دعه يجيب بلغته ،

يذكرنى هذا باختبارات قياس معدل الذكاء التى لا يجوز تطبيقها إلا بلغة الممتحن الأصلية

*فى أواسط الستينات فى الجامعة الأمريكية ببيروت ، أجريت تجربة على مجموعتين من الطلاب الأولى تلقت المادة العلمية باللغة العربية و الأخرى بالإنجليزية بتوزيع متكافئ للطلاب ،

كانت النتيجة أن نسبة الوعى والفهم والإستيعاب بالعربية أعلى بكثير (متوسط عام جيد جدا) من الفهم باللغة الإنجليزية (متوسط عام مقبول)

*تشير الدراسات الحديثة التى أجريت على نتيجة امتحان المجلس الطبى للأطباء الأجانب فى أمريكا إلى أن الأطباء الذين درسوا بالعربية (حالة سوريا) قد حصلوا على معدل علامات أعلى من المتوسط العام للأطباء المتقدمين للامتحان من مختلف أنحاء العالم.

منظور الطائر :

بعد مرحلة الإستقبال و حين تكثر المعلومات بالعقل يصنفها و ينظر لها بمنظور الطائر بحيث يقارن بينها و يرتب الأولويات و يستدعى ما يشاء و قد أوضحنا أن كل هذه المراحل تتأثر بالسلب الشديد حال مخالفة لغة الدراسة للغة الأم التى يفكر بها الدارس..

و قد استوعب الغرب هذه الحقائق .. بدا ذلك واضحا من امتحان المعادلة لمن يرغب من الأطباء فى العمل بالخارج ، عليه أن يجتاز أولا امتحان صعب و دقيق باللغة الإنجليزية .. لماذا ؟

لأنهم أدركوا أهمية اللغة فى الإبداع و أن الفهم على المستوى اللغوى يسبق المستوى العلمى و لأنهم يبغون فرض لغتهم التى يعتزون بها و يريدون أن يفكر الدارس بالإنجليزية متفوقة فى عقله على لغته الأصلية ..

المرحلة الأخيرة :

أما المرحلة الأخيرة و هى مرحلة الإبداع و إيجاد علاقات جديدة فتعتمد على المراحل السابقة..

و بالتالى لو كان الإستقبال مشتت ، و تثبيت المعلومة مبهم ، و استدعاؤها ضعيف ،،،

فأنّا للدارس أن يصل لمرحلة الإبداع .

الوسائل الإبداعية

نستخدم الوسائل الإبداعية لعرض المعلومة و تبسيطها كى تصل لأذهان الأطفال أو ذوى الإحتياجات الخاصة بسهولة ، و يستخدم الأساتذة المتمرسون مثل هذه الوسائل لإبهار الطلبة و الوصول بأذهانهم إلى أقصى درجات التركيز و الفهم كى ينتقلوا بسهولة إلى مرحلة الإبداع ، يبدو ذلك واضحا فى المحاضرات الحديثة حين يرتبط كلام المحاضر بصور توضيحية أو صور مثيرة للضحك أو حتى الإشمئزاز تتعلق بموضوع المحاضرة أو كاريكاتير ما يحفز الإنتباه و يشحذ الذهن و هذا كله لن يكون واضحا حال استخدام لغة أجنبية

شواهد

*إذا فكرت الأمة بعقلها وعبرت عنه بلغة أخرى فإن الهوة بين التفكير و الإبداع ستزداد و سيبقى التفكير سطحيا.. (د/ عبد الرؤوف خريوش – جامعة القدس المفتوحة)

*لقد قضيت كل هذه الساعات فى الترجمة والترجمة فقط ولم أفهم المحاضرة كما ينبغى لذلك فأنا أحفظ هذه الأشياء كى أسردها فى الإمتحان (طالب بكلية عملية)

و لو تتبعنا ببساطة مسيرة الطب فى العصر الحديث بإحدى الدول العربية و لتكن { مصر } على سبيل المثال لاتضح لنا أن ذوى العلم و الفضل من علماء الدول المستعمرة فرنسا و إنجلترا ، اعترفوا بأهمية الدراسة بالعربية مثل :

-- (كلود) بك ناظر مدرسة الطب فى عهودها الأولى الذى يقول " إن التعليم بلغة أجنبية لا تحصل منه الفائدة المنشودة ،

كما لا ينتج عنه توطيد العلم أو تعميم نفعه ".. وكان حريصا على ترجمة المواد الطبية من الفرنسية إلى العربية ؛ وفاء بهذا المعنى نفسه..

لكن المستعمر كانت له أهداف أخرى و رؤية استعمارية شاملة -- فما إن ثبت الإجتياح البريطانى أقدامه فى مصر حتى عرقل مسيرة التعريب

أولا : بتحويل التدريس فى مدرسة الطب إلى اللغة الإنجليزية عام ١٨٨٧

و ثانيا: بقرار فى ١٨٨٩ بأن تكون لغة التعليم فى مختلف المعاهد المصرية اللغة الإنجليزية فأغلقت مدرسة الألسن و نفى رفاعة الطهطاوى ومؤيدوه للسودان ووجهت البعثات إلى إنجلترا..

عقدة النقص أو (الخواجة)

هى حقيقة نفسية واضحة نجح المستعمر فى غرسها فى العرب ، و هى و إن كانت لها مستويات عديدة إلا أنها على المستوى اللغوى باتت واضحة ، فالطفل يفخر بنطقه الإنجليزية أفضل من العربية و هذه مأساة ..

و الواجب أن يكون هدف الطفل التحدث بطلاقة بلغته العربية ، يتبع ذلك وجود نماذج ناجحة تمثل قدوة للطفل يريد أن يحتذى بها ، و أن يكون الأهل مشجعين للغة العربية فخورين بأن أبناءهم يجيدونها و أن يتبع ذلك عدم تحكم اللغة الأجنبية بالوظائف المربحة فى المجتمع و التى يتسابق للإلتحاق بها الجميع فما فائدة لغتى الأم إذا لم تؤمن لى عملا مرموقا ؟ بينما إجادة لغة واحدة أجنبية يضمن لى العمل السريع ؟ هذه المغالطة والتى لا توجد إلا فى الدول النامية فى اعتراف صريح بمكانة لغة المستعمر تجعل الجميع يتسابقون لإجادة لغة المستعمر ..

و قد أعجبنى هذا التساؤل الذى يطرحه
أد/محمد يونس الحملاوى أستاذ الحاسبات بكلية الهندسة جامعة الأزهر حين يقول :
– هل التقت إرادتنا مع إرادة المحتل الذى فرض إنجليزيته على الجامعات فى مصر فور احتلالها والذى اعتبر العربية لغة أجنبية فى الجزائر فور احتلالها؟

هل توجد أمة من الأمم التى نود أن ننقل منها العلم تناقش بأى لغة يتعلم أبناؤها؟
يحضرنا هنا قول ابن خلدون : أن المغلوب مولع بالغالب فى كل أفعاله وطرائق حياته؟

هذا المرض كان ملغيا من منهجنا

لا يستفيد الدارس من المراجع العلمية الكبيرة بسبب عبء الترجمة فهو يكتفى بالمنهج المقرر عليه فقط .. الأمر الذى يخالف طبيعة دراسة الطب التى لا ترتبط بمنهج محدد إذ لا يصح أن أقول للمريض : أنا آسف فهذا المرض كان ملغيا من منهجنا ..

و بالتالى فطالب الطب مطالب بدراسة جميع أشكال المرض و معرفة جميع التدخلات الدوائية و الجراحية و جميع التقنيات التشخيصية و متابعة كل جديد الأمر الذى يصبح عسيرا حال الدراسة بلغة أجنبية و لعدم توافر قاعدة ترجمة عربية عالمية توفر له المعلومة ببساطة و بلغته الأم ..

طاعون الدروس الخصوصية

وصل الحال الآن فى كليات الطب المصرية إلى انتشار الدروس الخصوصية كالطاعون ،،

.. و المدرس الجامعى فى درسه الخاص لا يدرس إلا بالعربية و لا يستخدم الإنجليزية إلا فى أضيق الحدود على مستوى المصطلح العلمى فقط ، والذى لايشكل سوى نسبة ٣% ،، و يفهم الطلاب الدروس و يتفوقون فى كلياتهم لأنهم أخذوا المناهج فى الدرس الخصوصى بالعربية.

تشير إحصاءات منظمة الأمم المتحدة إلى وجود تسعة عشر دولة فى صدارة العالم تقنياً يسير فيها التعليم والبحث العلمى بلغاتها القومية، ولا توجد دولة عربية واحدة ضمن هذه المجموعة من الدول،كما تشير دراسة حديثة عن أفضل خمسمائة جامعة فى العالم إلى أن تلك الجامعات موجودة فى خمس وثلاثين دولة تدرس جميعها وتجرى بحوثها بلغاتها القومية، ولا توجد جامعة عربية واحدة ضمن هذه المجموعة من الجامعات.

نفسية المعارض للتعريب :

الدافع :

نحن نتحرك فى الحياة بال (الدوافع) أو وسائل التحفيز للوصول لغاياتنا ..

فأما الدافع لنا (نحن أنصار التعريب) فهو أننا نريد أن يكون لنا السبق العلمى ، أن ننتج العلم و نصدره لا أن نقف متفرجين و نشتريه جاهزا ،

أن نصل إلى مرحلة الإبداع ،

فما هى نفسية و دوافع المعارضين للتعريب ؟..

المعارض للتعريب شخص لا يمتلك القدرة على المبادرة و إحداث التغيير فهو يقبل الواقع و يتمسك به و يخاف من الجديد إنه يعارض فقط لأنها فكرة جديدة بالنسبة له ..

يستغرب الفكرة فيعارضها .. ثم يكتشف أن هناك مؤسسات و قوانين موضوعة للتعريب و أن الأساتذة الكبار المتخصصين يعملون جاهدين و هناك الكثير من الدول التى عربت بنجاح ..

فيبدأ فى الإقتناع لكنه يقول صعب ..و يعدد المصاعب

فنسأله : هل أنت مبدع ؟ ؟..

و لنر معا كيف ستكون الإجابة على هذا السؤال !!!

هل أنت مبدع ؟

أنا إنسان عربى .. أتحدث العربية و أحلم بها و هى لغتى الأم ...

السؤال ببساطة : لماذا أدرس بلغة مخالفة ؟

هذا هو السؤال ..

و الإجابة ببساطة : لأنى وجدت الجميع فى بلدى العربى يدرسون بلغة مخالفة ففعلت مثلهم ..

و الإنسان المبدع لا يرضى بواقعه لمجرد أن أسلافه ارتضوا به ؛ فيسأل : و هل هذا الوضع صحيح ؟

و الإجابة ببساطة : لا ..

فيستدرك : بما أن دراستى للطب بلغة أجنبية أمر غير صحيح .. أنا لا أرضى بذلك و سوف أفعل أنا الأمر الصحيح و أدرسه بلغتى العربية ..

لكنه يواجه بالأصوات المضادة فإما أن يرجع عن قراره و يستجيب للضغوط بسلبية ، و إما أن يتعامل بعقلية المبدع فيمتص الضغوط و يتصرف بإيجابية و يواصل عمله من أجل

فرض دراسة الطب بلغته الأم .. العربية .. و فى النهاية ينجح ..

كما قال غاندى :

(إنهم فى البداية يتجاهلونا ، و من ثم يسخرون منا ، و ها هم اليوم يحاربوننا ، لكننا حتما سننتصر)

الصعوبات و رد الشبهات :

نحن نقول للمعارض : ومن قال أن الأمر سهل و نرد عليه الشبهات :

* حجة المصطلح العلمى :

-- أكثر من ٩٧% من كلمات المرجع الأجنبى هى كلمات عادية وليست مصطلحات علمية مثل : (ارتفع – هبط إلى أقل مستوى – انقبض بقوة فأحدث اتساعا كبيرا فى المنطقة المحيطة.. وهكذا)

يظن المعارض للتعريب أن المصطلح العربى صعب

(لاحظ أن المصطلح لا يمثل سوى ٣% فقط من المناهج)

ويقابله سهولة فى الكلمة الأجنبية .. مثل (المعثكلة) التى يقابلها (البنكرياس)،،

لكن الحقيقة أن (المعثكلة) أخف من البنكرياس فهى تتكون من مقطعين فقط ، لكنها غريبة على الأذن و ترجع غرابتها لأنها المرة الأولى التى نسمعها بينما سمعنا واستخدمنا البنكرياس آلاف المرات ، و لو أن المعثكلة درست لنا منذ المرحلة الإبتدائية و كانت هى الإسم الطبيعى لذلك العضو لوجدنا غرابة وثقل شديدين حين نسمع (بنكرياس) لأول مرة..

*مشكلة الكتاب الجامعى وندرة المراجع العلمية المؤلفة باللغة العربية أو المترجمة و عدم تحديثها مقارنة بالقاعدة العلمية العالمية..

والرد أن القاعدة العلمية العربية موجودة بالفعل لكنها تحتاج إلى تنمية ، الأمر الذى يتطلب مجهودا كبيرا يضن به المعارضون ..

*مشكلة المعاجم و توحيد المصطلح :

قلة المعاجم العلمية المتخصصة إذا ما قيست بتلك المؤلفة بلغات أجنبية ..

وهذا كلام فاسد لأن المعاجم العربية العلمية شملت الآن جميع فروع العلم (وليس الطب فحسب) و يتم تحديثها و إضافة ما يستجد من مصطلحات بصفة دورية بفضل جهود المتخصصين فى المجامع والمؤسسات ، وستدهش لو علمت أن نصف لجان مجمع اللغة العربية المصرى فقط

(البالغ عددها ٢٧ لجنة) هى لجان علمية مثل : لجنة الهندسة والنفط و الفيزيقا و المعالجة الإلكترونية وعلوم الأحياء والزراعة والكيمياء والصيدلة والمصطلحات الطبية ..إلخ

*صعوبة متابعة البحوث و المؤلفات الحديثة المؤلفة بلغات أجنبية :

و هذه حجة فاسدة لأن الترجمة أضحت الآن أمرا سهلا جدا سواء بالترجمة الورقية الفورية على برامج الكمبيوتر أو على عشرات مواقع الترجمة و أشهرها صفحة (جوجل) للترجمة ، أو الترجمة السمعية كما يحدث فى المؤتمرات .. و السؤال

هو : لماذا يفهم الطبيب الفرنسى و الطبيب الألمانى و اليابانى المؤتمرات و كيف يتابع أحدث المعلومات دون أن يرى فى ذلك عبئا ؟ بينما نضن نحن بمجهود يسير فى عملية الترجمة ؟

*المشكلة المادية :

التعريب الشامل من تأليف و ترجمة و إعداد الكادر المؤهل بحاجة لدعم مادى كبير يتجاوز إمكانيات القطر الواحد.. ونحن نتفق مع المعارضين فى هذه النقطة.. و نبشرهم أن الخطوة الأولى هى أصعب خطوة لكننا خطونا فى طريق التعريب خطوات

محل خلاف :

من المواقف التى صادفتنى شخصيا و لا أنساها و التى تعبر عن امتداد المشكلة إلى جميع مراحل التعليم الطبى بعد سنوات من التخرج و أثناء الدراسات العليا و فترة عمل الأبحاث الميدانية التى تؤهل الباحث لرسالة علمية منظمة للحصول على درجات علمية متقدمة ..

لا أنسى فى مناقشة رسالة (أحد الزملاء) و أمام لجنة من كبار أساتذة الطب

سأله أحدهم : ما معنى هذه الكلمة ؟

و قد كان واضحا أن الأستاذ لا يختبر الطالب وإنما هو لا يعرف معناها ، لكن رد الطالب كان متميزا حين نظر للكلمة و كأنه يتذكر معناها

ثم أجاب بهدوء وثقة :

هذه الكلمة يا دكتور (محل خلاف)...

و كتم الجالسون ضحكاتهم بما فيهم الأساتذة المناقشين

أمر لا مفر منه :

١- الأهمية العلمية للتعريب :

اتفق المتخصصون على أن السبب الرئيسى لعدم النهوض العلمى (فى مجال الطب و سائر تقنيات العلم الحديثة) فى عالمنا العربى هو ارتباط علومنا المستمر باللغة الأجنبية فى سبيل الوصول إلى المعرفة ؛ فحدث الإنفصام الثقافى بين العلم و حضارة الأمة فأصبح العلم هجينا غريبا وأصبحت الأمة ناقلة غير مبدعة .

٢- أهمية التعريب اللغوية :

* إثراء اللغة العربية بالدراسات اللغوية المقارنة فقبول اللغة العربية للكثير من المصطلحات العلمية و اللغوية ناتج عن خصائص اللغة العربية المتصفة بالمرونة و الاشتقاق و النحت و التطور ، وقل ما تتصف بهذا الثراء لغة أخرى

* التعريب سيؤدى تلقائيا إلى الحد من انتشار مدارس اللغات والجامعات الأجنبية.

* القضاء على الجفوة بين اللغة العربية وما نطلق عليه العامية :
حيث يمزج المدرس الجامعى – بين العامية والعربية واللغة الأجنبية فى المحاضرة فالأغلبيةالساحقة لاتجيد اللغة الأجنبية وعدد غير قليل لا يجيد العربية

* أنا البحر فى أحشائه الدر كامن ..

هل هناك بالفعل لغة فى العالم قديما و حديثا تضارع اللغة العربية قوة و جزالة ؟

دون تمييز للغتنا أو تحيز .. الإجابة هى : لا توجد ، لأن اللغة العربية هى الأقوى

الطب النفسى و اللغة العربية :

يقول أ.د. يحى الرخاوى أستاذ الطب النفسى بجامعة القاهرة

{أنا لا ولم ولن أرفض تعريب العلوم والطب خاصة، بل إنني ضد تدريس أي حرف باللغة الإنجليزية وبالذات الطب النفسي. وقد بلغ بي التحدي أن كتبت علم السيكوباثولوجي شعرا بالعامية (وليس رجزا كألفية ابن مالك) ثم قمت بشرح هذا الديوان الذي أسميته(سر اللعبة) لأثبت قدرة العربية شعرا

ونثرا، فكان مؤلفي الأساسي " دراسة في علم السيكوباثولوجي " هو شرح ديوان سر اللعبة.
إن مرضانا يمرضون بالعربية ويشكون بالعربية فكيف أعالجهم وأدرسهم وأشرح حالتهم إلا بالعربية. إن عدم استعمال العربية هو تنازل عن الهوية، وتشويه للعقل الوطني والقومي وإجهاض للإبداع.}

يذكرنا كلام د الرخاوى بإمكانات اللغة العربية و استخدام عباقرة العلم العرب أمثال ابن سينا و البيرونى و ابن النفيس الشعرَ كأداة لتوصيل المعلومة ، حيث صنفوا المنظومات العلمية الرائعة و صاغوا المعلومات فى هيئة شعر .. فتحولت المعلومة الجافة إلى صورة مرئية مسموعة مبهرة تطبع المعلومات على الذاكرة بأسلوب شيق و متميز لا نجده فى أية لغة أخرى

٣- أهمية التعريب على مستوى الأمة :

*ترتبط نهضة الأمم بمستوى لغتها و مدى اهتمام أبنائها و حكوماتها بها و تعكس حركة الترجمة هذه النهضة كما حدث فى عصر الخليفة هارون الرشيد و المأمون و غيرهم ..

*اللغة مكون أساسى من مكونات هويات الأمم ؛ و بالتالى فإن التعريب يصبغ الحياة بصبغة عربية ، وهو مظهر من مظاهر التوحيد الفكرى لشعوب مقسمة إلى كيانات سياسية مختلفة.. و معلوم أن اللغة العربية هى أوضح مظاهر الوحدة بين شعوب العالم العربى الآن ، و الإنسان يتطلع ببساطة و ينجذب إلى المشابه له ، فنشعر بتوحد و تكتل عربى دون أن يكون له وجود سياسى فعلى لأننا نتحدث نفس اللغة ،

و حين نتحدث الإنجليزية ننجذب و ننبهر دون قصد للإنجليز و الأمريكان الأمر الذى يبدأ بالطب الإنجليزى و ينتهى بجميع العادات و التقاليد و يصبح تغريبا كاملا ..

*التعريب فى مواجهة التغريب

.. إن الفارق الظاهر بين الكلمتين نقطة ، لكنه فى جوهره إما اختراق أو احتراق .. إما أن نخترق الثقافات الأجنبية ونبزها و إما أن نحترق فلا يكون لنا مكان .

* أبعاد سياسية

افتخارى بلغتى العربية له أبعاد سياسية فأنا أرفض فى المؤتمر .. التحدث بلغة أجنبية لأعبر عن بحثى العلمى و أجبر الحضور على استخدام أجهزة الترجمة فأضفى على نفسى و بلدى و لغتى هيبة كبيرة .. إذ أنه لا شك أن الزعيم الذى يعتز بلغته ينال احترام شعبه و الشعب المضيف له و الشعوب الأخرى بخلاف الزعيم الذى لا يفعل ..

تم تعريب الطب فى مصر و لكن :

-- أصدر الوزير الأديب د/ محمد حسين هيكل عام ١٩٣٨ قرارا بتعريب التدريس فى الجامعة ، ولكن كلية الطب طلبت استثناء لمدة عشر سنوات فقط حتى يتم وضع المصطلحات العربية و تأليف الكتب الجامعية .. وقد تجددت المدة آليا حتى الآن*

مما يعطى انطباعا واضحا عن عقلية الأساتذة الجامدة التى رفضت القرار السياسى و كأن المحك فى موضوع تعريب الطب هو مجموعة الأساتذة المبهورين بحضارة الغربى و لغته و الرافضين لكل ما يؤصل ثقافتنا و هويتنا و حضارتنا .. كالتعريب و غيره .. و سامحهم الله لو التزموا بالقرار لكنا الآن ندرس الطب بالعربية ..

و نقترح الآن عدة خطوات للنهوض بهذه العملية

اقتراحات عامة :

* البدأ بتنفيذ خطة ترجمة شاملة لجميع المراجع و الأوراق البحثية و المجلات المتخصصة للغة العربية من اللغة الإنجليزية

* و ترجمة كل ما يتعلق بالموضوع العلمى لو وجد بلغات أخرى ما هو أحدث و غير إنجليزى

* يقوم الباحث بترجمة الكتاب من ألف صفحة مقابل مكافأة مجزية

* يتم حصر جميع الكتب والمراجع المترجمة بالفعل من قبل جامعات أخرى مثل جامعة سوريا و السودان و غيرها و الإستعانة بهم فى جميع مراحل الترجمة و التنسيق بين الجامعات و المؤسسات والمراكز الأخرى حتى لا يتشتت المجهود (كأن يترجم مرجع ما مرتين فى جامعتين عربيتين مختلفتين مثلا)

* يتم تصميم الصفحة بقطع طولى بحيث توضع النصوص الأصلية على اليسار و تقابلها الترجمة العربية على اليمين كمرحلة انتقالية و يسمح للطالب بل و يفضل له الإجابة بالعربية فى الشفوى و التحريرى إلى أن يتم حذف النص الأجنبى تماما

* البدأ فى العمل من خلال هيئة منفصلة تشرف على جميع هيئات التعريب التى من الممكن أن تؤدى دورا مثل :

* مجامع اللغة العربية
* أقسام الترجمة بكليات الألسن و الآداب و مختلف أقسام اللغات بالجامعات العربية المختلفة
* أى متطوع بأى مؤهل يجيد لغة معينة و يمكنه الترجمة على أن يأخذ مكافأة معلومة لكل كتاب
* التبرع و و أقترح فتح حساب مفعل لخدمة قضية التعريب دعم مشروع الترجمة بحساب جارى لمواصلة الجهود و تجاوز العقبات المادية

* وقف ميزانية واضحة و منفصلة للتعريب من الحكومات ، و وزارة الثقافة و التعليم والتعليم العالى و الأوقاف

* التأهيل الإعلامى و إعلانات و برامج مسجلة و مقالات فى الصحف الكبرى توجه الفكر للتعريب ... مثلا كم قناة فضائية قامت بتغطية وقائع مؤتمرات التعريب السنوية ؟

* تأهيل جميع الطلبة الجدد فى السنة الدراسية الأولى نفسيا و تطبيق نظام التعريب الشامل عليهم إجبارى فهم النواة الجديدة

* دور الجامعات :

– إصدار قرار التعريب من المجالس العليا للجامعات وتوحيده فى العالم العربى

–إلى أن يصدر القراريقوم الأساتذة المؤيدين للتعريب بمواصلة الضغط و البدء بتنفيذ خطوات فعالة فى إطار إمكاناتهم كأساتذة و رؤساء أقسام و ذلك فى إطار جدول زمنى معلوم

*دور الحكومات :

– توفير الدعم المادى المطلوب

– تأييد قرارات الجامعات بقرار سياسى ملزم و الإشراف على تنفيذه

– إنشاء المزيد من مؤسسات التعريب والترجمة دعما لجهود المجامع واستغلال التقنيات الحديثة فى الترجمة مع التنسيق بينها ..

تأهيل الشعوب نفسيا :

– تأهيل الشعوب نفسيا عن طريق وسائل الإعلام بحيث يتجاوز الأفراد مرحلة التردد إلى مرحلة الإيمان بالقضية والعمل من أجل نجاحها ، و معلوم أن الإلحاح على الفكرة إعلاميا _ و إن كانت خاطئة _ يعطى لها رواجا كبيرا .. فما بالنا بالفكرة الصحيحة التى تتفق مع الفطرة و تهدف لمصلحة الأمة

التحول النفسى :

هل من الممكن أن يكون الشخص أشد المعارضين للتعريب ثم يتحول فكريا و نفسيا إلى واحد من أشد المتحمسين للتعريب ؟

الإجابة هى نعم .. ذلك ممكن و خصوصا أن الأشخاص ذوى المواقف الواضحة و الرؤية المتميزة التى تميل إلى التعصب و فرض الرأى بأية وسيلة ، لا يتميزون – فى الغالب – بوسطية المواقف ..

فهم إما مع .. و إما ضد ..

و إذا تحولت اتجاهاتهم فإنها تأخذ منحنى مخالف تماما للأوضاع الأولى ؛ بسبب ما تتميز به شخصياتهم من الإعتداد الشديد بالرأى لدرجة قد تصل إلى التطرف فى الإختيار .

و يحضرنا قول العالم الكبير الراحل : أ.د. خيرى سمرة : أستاذ المخ و الأعصاب و عميد طب القصر العينى سابقا

الذى يصف – رحمه الله – حاله فيقول :

{بالأمس البعيد كنت من أشد المعارضين لفكرة تعريب الطب– واليوم أصبحت من أشد المتحمسين لها.}

*دور الأفراد :

– إنشاء مدارس خاصة بإمكانات هائلة متخصصة باللغة العربية مستوى رفيع

– إعادة تشكيل الهوية من خلال زرع حب اللغة فى نفوس الأطفال والتفوق فيها بدلا من الفخر بمعرفة لغة أجنبية

الإنتقال لمرحلة الهجوم ..

لماذا نكتفى بالدفاع عن لغتنا ؟؟

يجب أن نهجم على الآخر و أن نفرض العربية عليهم و أن نحوجهم لدراسة الطب بالعربية و نضعهم هم فى موقف الدفاع عن الإنجليزية و الفرنسية و ...إلخ .

و ذلك بالوسائل العلمية :

من إبراز لمحاسن اللغة العربية فى مقابلة مساوئ اللغة الأجنبية بدءا من قوتها و جزالتها و قدرتها على التعبير و استخدام المصطلح الواحد للتعبير عن عدة أشياء و من أهم مزاياها لنا أنها لا تحتاج لمترجم ..

و من الناحية الفنية :

أن حروف وكلمات اللغة العربية – مثلا – ترسم بعشرات الطرق و أنواع الخطوط المختلفة ، فأنا أحزن لرؤية غلاف المرجع الأجنبى الكبير منقوشا عليه حروف أجنبية كبيرة جافة ، و أتخيله لو أنه مكتوب بالعربية ، فالله الله ما أجملها من

حروف و من كلمات و تصميمات لا يختلف على جمالها و روعتها عربى أو أعجمى .

فاتحة الطريق

سيكون تعريب الطب فاتحة الطريق للتعريب الشامل حتى فى مجال البرمجيات و جميع التقنيات ، فأنا أتطلع بلهفة لرؤية التقرير المكتوب على صورة الأشعة باللغة العربية
و إلى قراءة كلمة (صناعة عربية) على جهاز الأشعة نفسه و طبعا مطالعة عنوان (التشخيص السريع بجهاز الأشعة المقطعية) على المرجع الطبى الكبير الموجود على مكتب الطبيب العربى النابغة .

سحر الكلمات :

*ومع أننا لسنا فى مقام مخاطبة العاطفة و استعمال سحر الكلمات و رونقها للتأثير و توصيل الفكر و إنما نحن بصدد أمور علمية و مفاهيم واقعية لا تحتمل أكثر من تأويل إلا أنى لا أجد حرجا من وضع أبيات الراحل(محمد البرعى)القائلة :

من خط بالقلم الحروف الألى *** الله خص بنورها التنزيلا
لغة البيان وقد شرفت بأحمد *** يدعو وينشر للحديث فصولا
و اليوم قد هبت عليها عجمة *** كانت على لغة البيان وبيلا
فانهض و خذ بيد البيان فإنه *** لم يرض غيرك للبيان كفيلا

رأيت ذلك اليوم

*رأيت اليوم الذى تصبح فيه العلوم جميعها (وليس الطب فحسب) باللغة العربية ، ودور البحث العلمى المتخصصة تجرب وتبحث و تحلل وتبدع و تصنع العلم باللغة العربية .. التى انتشرت حتى أصبحت الجامعات الغربية تدرس علومها باللغة العربية كى تلحق بركب التقدم العلمى العربى ..

*ورأيت الجامعات العربية تغزو الدول الغربية والشرقية بمصاريف باهظة أو معتدلة يتسابق على الإلتحاق بها علية القوم من أبنائهم..

*ورأيت اللغة العربية تدرس فى بعض مدارسهم فى المرحلة الأولى كلغة أولى وتدرس فى باقى المدارس كلغة ثانية..

*وهذا اختبار عسير فى اللغة العربية من ينال شرف اجتيازه من الدارسين غيرالعرب يستطيع أن يعادل بعدها شهادته الطبية و العلمية كى نعترف بها عربيا أى عالميا..

*كما رأيت بعض مفكريهم ينادون بالعودة للاتينية كى يلحقوا بركب التقدم العربي ، فسخرت منهم

..لقد أصبحت العربية هى لغة العلم العالمية.. .

د/ حسام صبري

تعقيب :

تعمدت فى هذا البحث أن لا أضع أية كلمة بلغة أجنبية اعتزازابلغتى ؛ فأنا لا أرى فى البحث الإنجليزى أو الورقة العلمية أو حتى الرواية الأدبية الأجنبية معنى بالعربية أو أية لغة أخرى موضوع بين قوسين ،، كما نفعل نحن فى مقالاتنا المؤلفة أو المترجمة – للأسف – حين نضع العديد من الكلمات بالإنجليزية على صفحات المقال العربى ..

و لأكون قدوة فى هذا المسلك ..

كما أكرر دعوتى للسادة الأفاضل رؤساء الجامعات بالعالم العربى ، بإلزام كل طالب دراسات عليا

، لا فى كلية الطب وحدها و إنما فى جميع الكليات العملية ،أن يضع نسخة كاملة من عمله معربة تعريبا صحيحا قويا و عدم الإكتفاء بوضع ملخص عربى قصير قد لا يتجاوز الصفحة الواحدة فى نهاية الرسالة ..

و لن يشكل هذا عبء يذكر على الطالب فى ضوء برامج الترجمة الإلكترونية الفورية إذ يكفى وضع أى عدد من الكلمات على صفحة الترجمة بموقع البحث

(جوجل) لتتم ترجمتها فورا ، من و إلى أية لغة ثم يعاد تنقيح هذه الترجمة

و سينفذ الطالب دون نقاش ، الأمر الذى سيفيد حركة البحث العلمى العربى

و يضع بسهولة قاعدة علمية عربية لأحدث الأوراق العلمية و أكثرها استخداما ..

و فى النهاية أحب أن أخص بالشكر أد.محمد الحملاوى أمين جمعية التعريب ..

و لله الفضل و المنة من قبل و من بعد ،،،،

حسام صبرى

المراجع :

حوارات مباشرة مع كل من:

* أ . فاروق شوشة : الأمين العام لمجمع اللغة العربية المصرى

*د. كمال بشر : نائب رئيس المجمع و الأمين العام لاتحاد المجامع العلمية واللغوية و مقرر لجنة الألفاظ و الأساليب و اللهجات بالمجمع.

*د. عبد الحافظ حلمى : رئيس جمعية التعريب و مقرر لجنة الأحياء و الزراعةبالمجمع.

*د. محمود فوزى المناوى : نائب رئيس جمعية التعريب و عضو لجنة المصطلحات الطبية بالمجمع.

* د. محمد يونس الحملاوى : أمين عام جمعية التعريب.

المجلات والبحوث:

- مجلة مجمع اللغة العربية : الأجزاء :

(٦٥)

(٦٧)

*(٧٨): ص ٧١ / ٧٢

*(٧٩) : ص / ٢٧/٣٠

-(+) مجلة العربى عدد (٤٦٥): ص ١٣

- تعريب التعليم الجامعى .. د. عبد الرؤوف خريوش – جامعة القدس المفتوحة فلسطين

- مجمع اللغة العربية .. موجز عن تاريخه و إنجازاته .. الطبعة الثانية

معاجم :

- المعجم الوجيز طبعة ١٩٩٧

- معجم ألفاظ الشخصية : د. أحمد عبدالخالق .. جامعة الكويت